Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالنسبة للبلاغة العربية .

ينبغى أن نتذكر من جديد تلك الأوصاف التى اقتبسناها من الإلياذة ، إنها دون استثناء أوصاف حسية ، ولم يكن ذلك مصادفة . . إنه متجه إدراك المادة المشكلة بالضرورة ، ومن ثم فإن تأكيد الطابع الحسى للصورة الشعرية نابع من ماهيتها حتى وإن تكن صورة وهمية ، والحواس أقدم صحبة للإنسان : النوع والفرد ، وهى تمده بكل المعلومات تقريبا ، وتهيئ للخيال مادة حركته ومبدأ انطلاقه . ومن الحق ما ينبهنا إليه لويس من أن حاسة الإبصار تلعب الدور الأول فى إمدادنا بالصور ، ونشير هنا إلى أن الدراسات الحديثة حول التليفزيون – الذى يخاطب العين والأذن – والراديو – الذى يخاطب الأذن فحسب – قد دلت على أن نسبة ما نستمد من المعلومات عن طريق الإبصار تبلغ تسعين بالمائة ، أما العين والأذن فتمداننا بثمان وتسعين فى المائة ، وتبقى درجتان لبقية الحواس ! !

وإذن فإن لويس على حق تماما حين يقرر أن النموذج البصرى هو الأكثر شيوعا للصورة ، وأن كثيرا من الصور التى قد تبدو غير حسية لا يزال لها فى الواقع ارتباطات بصرية ضعيفة ملتصقة بها .

ونقرب فكرته هذه بقول أبى العلاء المعرى : (٥)

وسهيل كوجنة الحب فى اللـ ـون وقلب المحب فى الخفقان

إن قلب محب يخفق صورة إحساسية تدرك ولا تشاهد ، تدرك آثارها ولا تشاهد حركتها ، ومع هذا ففى أغوار الصورة منظر قلب عضوى حقيقى ينبسط وينقبض فى تتابع واضح متوتر . وحتى الأسطر الشعرية التى استعان بها لويس لشعراء مختلفين قد اتجهوا إلى إعمال حواس أخرى تعطى هذه النتيجة ذاتها . . أى العلاقة – ولو ضئيلة بحاسّة البصر ، ونكتفى بسطرى جونسون اللذين وصفهما بأنهما يثيران حاسة اللمس فينا :

---

(٥) فى دراسة عن : أثر كف البصر على الصورة عند المعرى ، لرسمية السقطى تشير الباحثة إلى أهمية حاسة البصر أكثر من غيرها للشاعر ، ليس بالنسبة لرؤية الأشياء وحسب ، وإنما للمجال الحركى بصفة عامة ، وفيما يخص المعرى فإن المركز الاجتماعى له أثر كبير فى موضوع إدراك الكفيف للمعالم البصرية ، ومع حرصه على وصف المرئيات والتشبيهات البصرية حتى وضع الدرعيات ، فإنه كان يهرب إلى التأمل الذى يعينه عليه فراغه ، كما تجاوز المتنبى فى استخدام مصطلحات العلوم والفلسفة ، وأكثر ما استخدمها فى مدار الوصف والتشبيه حيث كانت له خير وسيلة للتعويض عن عجزه فى إعطاء أوصاف وتشبيهات لها صور بصرية مرئية .